مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 13، العدد 50 (ربيع 2002)، ص 31

مقابلات

حنان عشراوي في مقابلة معها: نعيش إحدى أحلك مراحل تاريخنا، لكننا نشهد أيضاً انبعاث التصميم الفلسطيني*

أجرت المقابلة: **دومينيك روك**

■ يشعر المرء بأن الشعب الفلسطيني على مفترق طرقن بل إن المرء يستطيع القول أحياناً إنه ربما اليوم، بعد كل هذه السنين، ثمة خطر وجودي على الفلسطينيين هل تشعرين بذلك؟

□ نعم أشعر بأن هذه نقطة تحوُّل في التاريخ الفلسطيني، ويرجع ذلك بالضبط إلى سياسات شارون التي تشكّل مفارقة زمنية بكل تأكيد. فهو يريد أن يرجعنا إلى الوراء، إلى أربعينات القرن العشرين، إلى الأصولية الصهيونية، إلى الحديث عما يسمى "حرب استقلال إسرائيل"؛ وذلك يعني إكمال المشروع الصهيوني الأصلي بالاستيلاء على فلسطين بأكملها لإلغاء الهوية الفلسطينية الوطنية، وإلغاء جوهر حق تقرير المصير فيما يتعلق بالأرض في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفيما يتعلق بالشعب، ولا سيما باللاجئينز هناك جهود منظمة من جانب هذه الحكومة الإسرائيلية لتوجيه ضربة قاتلة إلى القضية الوطنية الفلسطينية أولاً، ولاختزال المسألة أو الصراع إلى عناصر البقاء الأساسية ثانياً، ولاستخدام وسائل عسكرية شنيعة، وسائل قمعية تستهدف كل فلسطيني ثالثاً؛ وهذا لسوء الحظ يحظى بتغطية دولية، ولا سيما في الولايات المتحدة. وقد ابتلعت الولايات المتحدة الموقف الإسرائيلي بكامله.

■ كيف وصل الفلسطينيون إلى هذا الوضع الحرج بعد أعوام من الكفاح وتسجيل النقاط دبلوماسياً وسياسياً على كل المستويات، بحيث بدأ العالم يدرك المحنة الفلسطينية والأهداف الفلسطينية والطموحات. هل تعتقدين أن هناك فشلاً من جانب القيادة الفلسطينية؟

□ هناك مجموعة من العوامل متضافرة. وربما كان من العوامل الأساسية، إذا شئت، طبيعة الاتفاقات الموقعة، التي سمحت لإسرائيل بالمناورة لتكون مسيطرة على

* أُجريت المقابلة في رام الله في أوائل آذار/ مارس 2002.

العملية، إلى جانب العيوب التي تنطوي عليها الاتفاقات، التي سعت لفصل الشعب عن أرضه، وإنشاء تدرجيَّة غير تراكمية، والتعامل مع المسائل الإجرائية بدلاً من المسائل المتعلقة بالأرض، بالإضافة إلى الموقف الأميركي الذي تعامل مع العملية كهدف لا كوسيلة. وهناك طبعاً كل أنواع الأخطاء والضعف التي شابت اتخاذ القرار الفلسطيني بصورة منتظمة، سواء في أثناء عملية التفاوض أو في عملية بناء الدولة. وأخيراً، يبدو لي أن أكثر اللحظات حسماً في التاريخ المعاصر هي هجمات 11 أيلول/ سبتمبر على الولايات المتحدة والموقف الأميركي التبسيطي الذي يقسم العالم إلى قوى الخير والشر، الشياطين والملائكة، وهلم جرا؛ وهذا استفاد منه شارون، كما أن إخفاق عملية السلام أدى إلى مجيء حكومة إسرائيلية هي الأكثر تطرفاً وتشدداً وعنصرية في تاريخ إسرائيل وتضافر هذه العوامل أتاح لإسرائيل لا استغلال الفرصة في التاريخ الكوني فحسب، بل أيضاً تنظيم حملة منهجية لتشويه القضية الفلسطينية وتحييد أي نوع من التدخل الخارجي أو الدولي، واختطاف السياسة الخارجية الأميركية، وفي الوقت نفسه شن هجمات وحشية على كل ما هو فلسطيني، حياة الناس وأرضهم وحريتهم وأمنهم وحقوقهم وكل شيء. في اعتقادي، هذه هي العوامل التي أوصلتنا إلى هذا الوضع.
لكنني أن أتسرَّع بالقول إن ذلك نهاية القضية الفلسطينية. أعتقد أننا نعيش في إحدى أحلك مراحل تاريخنا، لكننا نشهد إلى جانب ذلك انبعاث التصميم الفلسطيني على عدم السماح لشارون بتنفيذ خططه. كما أننا ربما نكون نشهد الآن بداية تحول في الرأي العام داخل إسرائيل، إذ بات يُلقى اللوم الحقيقي حيث يجب أن يكون، أي على كاهل شارون، وعلى كاهل الحكومة الإسرائيلية، وعلى السياسات والممارسات التي تقود المنطقة بأسرها نحو الكارثة.

■ الانتفاضة الثانية مستمرة منذ 17 شهراً على الأقل هل تقولين إن هذه الانتفاضة كانت خطأ استراتيجياً، بمعنة أنها قضت على كل ما تمكن الفلسطينيون من تحقيقه منذ اتفاقات أوسلو؟

□ نعم في بعض النواحي، ولا في نواح أُخرى، أعتقد أن الانتفاضة بصفتها تعبيراً عن إرادة المقاومة هي أمر إيجابي، لكن الوسائل كانت خطأً. لو كانت الانتفاضة ثورة لشعب مدني غير مسلح ضد أكثر الاحتلالات قمعية ووحشية لكانت عندئذ تدخلاً اعتراضياً إيجابياً في وضع سيطرت عليه الإجراءات والسياسات الإسرائيلية. لكن تحويل الانتفاضة إلى عمل عسكري، لسوء الحظ، واستخدام الوسائل العكسرية،

وخصوصاً استهداف المدنيين في إسرائيل، وتبني الوسائل الإسرائيلية والقتال على الأرض الإسرائيلية، والسماح لشارون بفرض برنامجه، شكلت كلها الخطأ الذي ارتكبته الانتفاضة. أمّا الانتفاضة كوسيلة للمقاومة المدنية فهي التعبير عن إرادة شعب يرفض الخضوع والاستعباد والقهر.

■ هل تعتقدين أن ياسر عرفات لا يستطيع وقف الانتفاضة إذا أراد، وأن الشارع أصبح راديكالياً إلى درجة أنه لا يستطيع اتخاذ هذا القرار؟

□ يستطيع اتخاذ القرار، لكن لا يستطيع أحد أن يضمن التقيد به مئة في المئة. هذا واضح جداً. ثمة دينامية تعمل هنا، وقد استغلها شارون، وهو يعرف متى يستفز وكيف. فكلما كان هناك فترة هدوء أو تهدئة، وكلكا لجأ الفلسطينيون إلى ضبط النفس، تعمد شارون التصعيد والاستفزاز، بل القيام بغارة واسعة أو اغتيال القادة، الأمر الذي يؤدي إلى ردات فعل فلسطينية. وهو يقوم بتحويل كل فلسطيني إلى هدف، إلى هدف مشروع، الرجال والنساء والأطفال، وأسباب الرزق والتعليم والصحة. وكل شيء يمثّل هدفاً بالنسبة إلى شارون. لذا فإن الاستفزاز متعمد ومحسوب. وعرفات يستطيع فعل الكثير، أي زعيم يستطيع فعل الكثير، لكن إلقاء اللوم بأكمله على عرفات والضغط على الفلسطينيين، بينما تُمنح إسرائيل يداً طليقة لإلحاق الدمار بحياتنا وواقعنا، فإن ذلك يعوق قدرة عرفات لا على السيطرة على الشارع فحسب، بل أيضاً على حماية شعبه. وفي نهاية المطاف، عندما تستهدف إسرائيل قوات الأمن وتدمر مقارها ومساكن قادتها ومكاتبهم، وتغتالهم وتقصفهم وتقتلهم، وتقطّع أوصال الأراضي كي لا يتمكن الناس من الانتقال إلى اي مكان، وفي الوقت نفسه تحرص على وضع مطالب مستحيلة، وعلى ألاّ تتمكن قوات الأمن الفلسطينية من تنفيذها على أي حالن وكأنها تقيد يدي عرفات خلف ظهره، وتطلب منه التنفيذ – كل هذه الأسباب تساهم في عدم قدرته على تنفيذ ما يُطلب منه مئة في المئة، بالإضافة إلى أن كثيراً مما يُطلب منه غيرت إسرائيل أهدافها وطالبت بالمزيد.

■ لم تستطع السلطة الفلسطينية، وربما لا يقع الخطأ عليها في ذلك، تحقيق السلام للشعب الفلسطيني، كما أنها لم تستطع حتى الآن حمايته مما يقوم به شارون. فهل يشكك الفلسطينيون في فعالية السلطة، وهل هم يدعمون استراتيجيا أُخرى؟ ما هو المزاج السائد حالياً؟

□ الشعب ما زال يشكك في فعالية السلطة وبشكل متزايد، لكنه يميز بين السلطة في حد ذاتها وبين شخص الرئيس عرفات. لا شك في أن شعبية عرفات تدنت إلى الحد الأدنى، أعني إلى ما دون 30٪، قبل أن يقرر شارون استهدافه. لكن عندما حاول شارون أن يجعل من عرفات كبش فداء وهدفاً واضحاً لهجماته، التف الشعب الفلسطيني حول عرفات وقال: إنه زعيمنا، ولا يحقّ لك أن تختار زعيمنا عنا. وهذا ما أدى إلى عودة الدعم إلى الرئيس عرفات، لكن الفلسطينيين لا يثقون بالسلطة نفسها، أي بالمؤسسات التي أُنشئت وفشلت عند ظهور أول مؤشرات التحدي أو الكارثة. وبهذا المعنى يستمر التشكيك والمطالبة بالمساءلة. ولو لم يحدث هذا الانهيار والتصعيد الأخير، لكان تطورت حتماً دينامية داخلية تصر على المساءلة وطلب الإصلاح والتغيير.
الفلسطينيون الآن في وضع يحتل الصدارة فيه الاهتمام بالمحافظة على البقاء، لكن ثمة تيار يطالب بإحلال الديمقراطية في شغل الوظائف على اعتبارات الولاء للسلطة.

ومن ناحية أُخرى، هناك أيضاً مسألة المعارضة. عندما يرى الناس أشخاصاً يقاومون أو ينفذون أعمال مقاومة عسكرية ضد الإسرائيليين، فإنهم يقولون إن هؤلاء يفعلون شيئاً على الأقل، بينما تبدو السلطة الفلسطينية منهزمة وخاضعة للإملاءات الخارجية، وفي الوقت نفسه عاجزة عن حماية الفلسطينيين أو تقديم الخدمات إليهم، وهذا يزيد في دعم الناس لمنظمات مثل حماس والجهاد الإسلامي. وذلك لا يعني أن هذا الأمر دائم، وإنما هو ردة فعل موقتة تجاه فترة صعبة جداً. لكن إن نظرت إلى الأهداف بعيدة المدى تجدين أن الفلسطينيين لم يترددوا في التزام التسوية المتفاوض بشأنها والسلام العادل. هناك التزامات استراتيجية تبقى ثابتة وتؤيدها أغلبية الفلسطينيين (73٪)، وهناك أمور موقتة قصيرة الأمد تبرز ويتعامل معها الفلسطينيون بغضب وألم شديدين.

■ هذه الرغبة في التغيير، التي تتحدّثين عنها، ألا تجعل الفلسطينيين يميلون نحو الأسماء التي نسمعها باستمرار كبديل من الرئيس عرفات، والتي يرددها شارون نفسه أحياناً، مثل أبو مازن وأبو العلاء وقادة الأجهزة الأمنية. هل يتمتع هؤلاء الأشخاص بالشعبية؟ وإن أرادوا إطاحة عرفات أو تنحيته جانباً، هل يدعم الفلسطينيون مثل هذه الخيارات؟

□ لا، لا، بعجرفته وعنصريته، قرر أن في وسعه أن يرغم الفلسطينيين على الموافقة على المطالب الإسرائيلية، وأن في وسعه اختيار قيادة مصطنعة تخضع للمطالب

والأولويات الإسرائيلية، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل معاكسة. وهذا يدل على جهل شارون وقصر نظره، لأن كل هؤلاء الأشخاص الذين يسميهم بدلاء عرفات هم أشخاص يعتمدون بصورة كاملة على عرفات في مكانتهم وصدقيتهم، وهم رجال عرفات، وهو الذي يبلغهم من يقابلون، ومتى، وماذا يفعلون، وهو العنوان الذي يقدمون إليه تقاريرهم. لذا فإنهم جزء لا يتجزأ من نظام عرفات وجهاز عرفات، وليسوا بدلاء منه. وربما يعتقد بعضهم أنهم ضمن المرشحين لخلافته، لكنهم بالتأكيد لا يرون أنفسهم بديلاً حالياً تلبية لأمر إسرائيل أو الولايات المتحدة. كما أن الرأي العام الفلسطيني أصبح، طبعاً، متمسكاً بعرفات ومدافعاً عنه لأنه مستهدف. لذا فإن كل من يوافق على المضي في لعبة ما بعد عرفات سيُنظر إليه باعتبار متواطئاً مع العدو، ولن يحظى بكثير من الشرعية أو الصدقية من قبل الرأي العام الفلسطيني، ولن يحصل على التأييد. لذا يعمل الشعب الآن على زيادة الصلابة، وعلى التضامن ضمن المعسكر الفلسطيني. وهؤلاء الأشخاص يعرفون أن ذلك قد يكون قُبلة الموت لهم من شارون إذا ما قرر إعلان أنه انتقى بنفسه بدلاء من عرفات. وحتى بين أشد منتقدي عرفات حماسة، وحتى بين المعارضة وحماس والجهاد والمنتقدين الديمقراطيين، الكل يقول إن هذا ليس شأناً إسرائيلياً، وليس شأن شارون. إنه شأننا، وسنقف خلف عرفات ونحميه من مخططات شارون. لكن إن عاد الوضع إلى طبيعته فسيكون هناك عملية ديمقراطية بالتأكيد، إذ لا يوجد شيء طبيعي تحت الاحتلال. لكن إن ساد الاستقرار والهدوء فترة ما، فستكون الدينامية الداخلية مختلفة تماماً. إن شارون يعتمد على ثلاثة أشياء.

■ **شارون، إذاً، يريد إطاحة عرفات. ما هو هدفه الاستراتيجي في اعتقادك؟**

□ هذا يبيّن أن شارون لا يدرك أن عرفات هو الشريك الوحيد للسلام، وأنه لن يجد شريك سلام آخر. الهدف الذي لديه يقوم على ثلاثة سيناريوهات. إذا لم يكتف شارون بإعلان أن عرفات "لم يعد مهماً" وعمد إلى إطاحته، عندئذ سيحدث انهيار داخلي في فلسطين. وهذا سيؤدي، في اعتقاده، إلى ثلاثة أمور هي: أولاً، حرب أهلية، أو نزاع وتفتّت داخليان، وهذا يخدم غاياته بالسيطرة؛ ثانياً، مجيء قيادة أكثر اعتدالاً، وهذا غير واقعي أبداً لأنه يعني اللعب وفقاً للقواعد الإسرائيلية، لكن شارون سيكون سعيداً بذلك أيضاً؛ ثالثاً، مجيء قيادة أكثر تطرفاً تتكون من حماس والجهاد الإسلامي. وفي وسعه عندئذ إعلان أن هؤلاء إرهابيون ويدمرهم. هذه هي، في اعتقادي،

السيناريوهات الثلاثة التي وضعها شارون في حساباته، ويحاول تحقيقها. لكن عدة أمور تدخلت لمنعه من تنفيذها. أولاً، درس الأميركيون هذه الخيارات وقرروا عدم وجود أي بديل، وأن عرفات انتُخب بطريقة ديمقراطية، على رأس السلطة الفلسطينية ولا يمكن نزع الشرعية عنه تلبية لطلب إسرائيل؛ ثالثاً، إن الولايات المتحدة تريد رؤية فترة هدوء، حتى لو كان هدوءاً مصطنعاً. وهم يعرفون أن ما من أحد يستطيع توفير ذلك في هذه المرحلة سوى عرفات. لذا من أجل التحضير لأي تحركات لديهم في حربهم المزعومة ضد الإرهاب، وتحركاتهم ضمن العالم العربي، فإنهم لا يريدون رؤية تغير جذري في الوضع في فلسطين، أو تصعيداً كبيراً في الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين لأن ذلك لا يخدم غاياتهم، وليس لأنهم يريدون رؤية حل حقيقي. ومن هنا فإنهم يعملون على المحافظة على الوضع الراهن، على مستوى من عدم الاستقرار، ويمكنهم إدارة الصراع من دون أن ينهار الوضع أو تحدث تغييرات جذرية، مع متابعة خططهم المقبلة للمنطقة من دون أن يصرفهم عنها أي شيء.

■ ذكرت سابقاً المعارضة وحماس وغيرهما من الحركات الإسلامية، لكن لا يسع المرء إلاّ ملاحظة أن فتح – وهي منظمة ياسر عرفات – ناشطة جداً في الأعمال الفدائية. أين تقف فتح، ومن هم المسؤولون عن الأعمال الفدائية التي تقوم بها؟ هل هم الشبان في مقابل "الحرس القديم"، عرفات في مقابل البرغوثي؟ وكيف يستطيع المرء قراءة ما يحدث؟

□ التفاحة لا تسقط بعيداً عن الشجرة، ربما كان البرغوثي يعبّر عن المشاعر الشعبية، عن الشارع والرأي العام إذا جاز القول، لكنه لا يبعد كثيراً عن شجرة عرفات. إنه موال تماماً لعرفات. أنا أعرف ذلك. ربما لديه انتقادات هنا وهناك أيضاً، لكن الجميع في منظمة فتح، سواء أكانوا من الحرس القديم في اللجنة المركزية أو المجلس الثوري، أم في "التنظيم" أو قيادة الشبيبة، موالون لعرفات، ولن ينفصلوا عنه. ربما لديهم أهداف تكتيكية، مختلفة، وربما لديهم وسائل مختلفة للتحرك، بما في ذلك مسألة المقاومة، إلاّ إنهم موالون لعرفات. إنهم تيارات متنوعة. طبعاً ثمة ميول متعددة داخل فتح نفسها، فهي ليست حزباً وإنما حركة. هناك التيار الديمقراطي، وهو يعمل بالتعاون مع المجتمع المدني ومع القوى الديمقراطية لتحقيق الإصلاح. وهناك النشيطون الشبان، وهناك كتائب شهداء الأقصى، وهو الأكثر تشدّداً ويقومون بأعمال المقاومة النشيطة، لكنهم يعملون جميعاً ضمن إطار عريض واحد. ولذلك يجب ألاّ يبالغ أحد في

القول إنهم منشقون عن فتح. وعندما تدعو الحاجة ستتخذ فتح موقفاً موحداً. ربما يكون الشبان شديد الانتقاد للحرس القديم، وربما يدركون أكثر ديناميات الصراع وديناميات الرأي العام. وقد يكونون أكثر تشدداً أحياناً، لكن ثمة طرق للتنسيق داخل فتح. وهم في الوقت نفسه يستعدون للمستقبل، وبعضهم يرى المستقبل في إطار ائتلاف وطني عريض، وبعضهم يرى نفسه جزءاً من القوى الديمقراطية. وسيكون من قبيل التبسيط الشديد الحديث عن حرس قديم وحرس جديد، لأنه حتى داخل الحرس الجديد توجد آراء كثيرة متنوعة. وأعتقد أن القوى السائدة داخل فتح في المستقبل ستكون القوى الديمقراطية التي ستتوافق مع استقلال المجتمع المدني، أو المثقفين الذين يعملون على الإصلاح الحقيقي، وعلى وضع برنامج مختلف. وذلك البرنامج سيكون أكثر فعالية إذا ما ساندته القوى الديمقراطية في صفوف فتح. لقد قرأة تقويم الشقاقي للوضع*، وأعتقد أنه تجاهل هذا العامل الرئيسي. إن المطالبين بالإصلاح يشكلون أكثر من 40٪ من السكان، وهم غير منظمين في حزب أو حركة، وهؤلاء هم الناس الذين سيكون لهم دور متميز نوعياً، وهم سينسقون مع كثير ممن يسمّون بالحرس الجديد داخل فتح.

■ **هل ترين أن هناك نقاشاً داخلياً حقيقياً، أعني أننا نسمع السلطة الفلسطينية تدعو إلى تطبيق تقرير ميتشل واتفاق تينيت، وتطلب مراقبين دوليين. ثم نسمع أشخاصاً، مثل البرغوثي، يقولون بوجوب استمرار العمل العسكري حتى انتهاء الاحتلال. هل لدينا استراتيجيات متعددة هنا؟**

□ كما قلت سابقاً، لدينا تحركات تكتيكية متنوعة في مراحل مختفة. عندما طلب عرفات وقف إطلاق النار، استجابت فتح بأكملها. لكن شارون قام بع ذلك مباشرة باغتيال قادة من فتح، وهذا حرَّض إلى حد ما ردة الفعل. البرغوثي ليس هو وحده المسألة، بل هناك أيضاً كتائب شهداء الأقصى، و"التنظيم"، والشبّان الأصغر سناً. إنهم مسيّسون جداً، وهم يدركون أن عرفات يقوم كفاحاً سياسياً، ولن يقبلوا بأن يكون كفاح الشارع ومقاومتهم في خط معاكس بشكل جذري، وسيجدون دائماً وسائل للسماح بالمناورة السياسة والقبول بها، سواء كان الأمر يتعلق بتينيت أو ميشتل كما يصر الأميركيون، أو بغير ذلك. وهم يعلمون أن ذلك أمر لا بد منه ضمن الحقائق السياسية العالمية، لكنهم يقولون أيضاً: سندعم كفاحك السياسي بمواجهاتنا اليومية.

* Khalil Shikaki, Palestinians Divided," *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 1, January/ February 2002, pp. 89-105.

وهم لا يرونها متعارضة مع العمل السياسي، بل على العكس من ذلك، يرون أن تحركاتهم تبرز سياسات شارون وتعرّيها، وتظهر أن شارون مفلس سياسياً، وأن نظرياته بشأن الأمن والسلام ليست فاشلة فحسب، بل مناقضة للسلام أيضاً. إنهم يرون أنفسهم داخل إطار سياسي أوسع غير معارض، وإذا كانوا متسامحين مع التحركات السياسية التي يقوم بها عرفات، فإنهم غير متسامحين بالنسبة إلى معظم حالات سوء الإدارة والفساد، أو أي نوع من أنواع ما يعتبرونه "بيعاً للقضية". وبالتالي ليس هناك، بهذا المعنى، اختلاف أو مواجهة استراتيجية. هناك نوع غريب جداً من التوافق داخلياً، نوع من تقسيم للعمل، إذا جاز القول، قائم في الواقع لا نتيجة قرار عرفات، وإنما نتيجة الفهم السياسي لمدى تعقيد الوضع من قبل الشبان.

■ **ذلك أمر مثير جداً للاهتمام. إذا عرفات لا ينسق كل تحرك يقومون به؟**

□ لا، إطلاقاً. إنه لا يقوم بإدارة كل كبيرة وصغيرة. وحتى أنا شخصياً، عندما يكون لدي اجتماعات مع الزعماء الدوليين، أو عندما أتحدث عن مسائل سياسية ونحو ذلك، فإنه لا يتدخل في ذلك أيضاً. يقول: إنك ذكية ولديك حس المسؤولية فاستخدمي حصافتك، وأنا أقدّر ما تقولين حتى عندما تنتقدينني. لدى الجميع في فتح إدراك لضرورة المناورة سياسياً. وعرفات، في مسائل اللجوء إلى استعمال القوة ومسائل المقاومة، لا يريد أن يكون جزءاً من أي تحرك، لذا لا يُصدر أوامر بالتصعيد أو بعدم التصعيد، ولا يطلب تنفيذ هذا الإجراء أو عدم تنفيذ هذا الإجراء. وغالباً ما يقرأون المزاج، ويقرأون التطورات، ويتخذون قراراتهم، ويتصرفون بناء على تقديراتهم للوضع. عندما تقوم إسرائيل بالتصعيد على الحواجز فإنهم يستهدفون الحواجز، لأن هناك دبابات وهناك جيش احتلال يقتل الناس كل يوم والمدنيين الأبرياء. إنما التوجه العام هو عدم ارتكاب أعمال عنف ضد المدنيين الإسرائيليين داخل الخط الأخضر.

■ **تنتقدين الفساد والافتقار إلى بناء المؤسسات داخل المجتمع الفلسطيني، هل يمكن أن يقوم عرفات بتغيير أي شيء على هذا الصعيد في هذه الظروف؟**

□ أقول دائماً إن عرفات هو أكثر الثوريين محافظة في التاريخ، بمعنى أنه لا يتخلى البتة عن الأشخاص. قد يضيف إليهم مزيداً من الأشخاص مثلما فعل في آخر تغيير حكومي. عندما ضغطنا وضغطنا، وكان هناك حركة واسعة تطالب بتغيير الحكومة، وصوّتُ أنا شخصياً ضد الحكومة مع أني كنت عضواً فيها، كان كل ما فعله هو الإبقاء

على كل الفريق القديم وأضاف إليه عشرة أشخاص جدداً. فقلت: ليس هذا هو الإصلاح الذي نحتاج إليه، يجب أن يحاسب الأشخاص لأنهم مسؤولون عن تصرفاتهم، ويجب أن يعلموا أنهم مسؤولون أمام المجلس التشريعي وأمام الرأي العام، وأن عليهم أن يتحملوا تبعة أخطائهم، وأن الأشخاص غير القادرين على الأداء بطريقة محترفة ومسؤولة يجب ألاّ يبقوا في مناصبهم. لكن هذا لم يؤثر في عرفات، لأن أسلوبه في القيادة يستند دائماً إلى شيء من الجماعية من ناحية إدخال كل أنواع الأشخاص المحيطين به ضمن دائرته، سواء أكان يتفق معهم أم لا، وسواء أكان يعوّل عليهم أم لا. وقد قلت له أكثر من مرة إن السلطة الفلسطينية لم يعد يعوَّل عليها، فكثير من الأفراد كلفت تصرفاتهم الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية الكثير من ناحية الصدقية، ومن ناحية الفرص الحقيقية وبناء الأمة. لكنه مؤخراً، نتيجة الضغوط الهائلة ومطالبة الشعب بالتغيير، وبحكومة مختصة ومسؤولة تتمتع بالصدقية والقدرة، وتعمل كحكومة لا كمنتدى يناقش السياسة، بدأ يقول أنه يتفهم الحاجات، إذا جاز القول. لا أدري ما غذا كان سيقدم على أي تغيير قريباً، لكن هذا تحد متواصل وعلينا الاستمرار في هذا الموقف ومواصلة الحوار معه.

■ أخيراً، هل تقولين إن هناك أزمة ثقة بينه وبين الولايات المتحدة، من حيث أنه يُساء فهمه تماماً، وأنه "احترق" فيما يتعلق بالأميركيين؟

□ أزمة الثقة صادرة عن الأميركيين نحو الفلسطينيين، وليس العكس. فعرفات لا يزال محتفظاً بالأمل، مع أن أمله خاب بهذه الإدارة، وتحرر من كثير من الأوهام. لقد أمل بأن تتابع هذه الإدارة من حيث انتهت إليه الإدارة السابقة، من ناحية التوجه إلى عملية سلام حقيقية ودور فعال يتعامل مع المشكلات الحقيقية بدلاً من إدارة تفصيلات المسائل التقنية والمشكلات الجانبية على طريقة إدارة كلينتون. وكان كثيرون منا متفائلين بأن التخلص من دنيس روس وفريق السلام، الذي لم يكن فريق سلام، سيؤذن بتحول جديد ونوعي في المقاربة الأميركية. لكن الإدارة الجديدة اختفت في البداية عن الأنظار وابتعدت عن القضية، ثم تبنت الاستراتيجيا الإسرائيلية والخطاب الإسرائيلي والخطط الإسرائيلية، وكان ذلك مصدر خيبة أمل كبيرة. وأعتقد أنه لم تمكّن الأميركيون من إيجاد بديل من عرفات لتخلوا عنه. وتقديري الشخصي أنهم درسوا الخيارات، وتوصلوا إلى استنتاج أنهم لن يتمكنوا من إيجاد قيادة بديلة ذات صدقية وقدرة على التأثير، وباتوا يدركون الآن أن عرفات هو الشخص الذي

يستطيع السيطرة على الرأي العام، بل التأثير فيه أيضاً، ولديه موقف وصدقية بصرف النظر عن الانتقادات وعن الأخطاء، وباتوا يُدركون أيضاً أهم بحاجة إليه كعمل استقرار، وخصوصاً الآن، لأن للولايات المتحدة خططاً في المنطقة، وهي لا تريد رؤية جَيَشان واسع، أو عدم استقرار بين الفلسطينيين. لذلك أعتقد أنها ستبقي عليه في موقعه.

■ **سؤالي الأخير: ما أهمية عامل المال لضمان ولاء المساعدين المقربين لعرفات والوزراء والمنافسين المحتملين؟**

□ لا شك في أنه مهم جداً. إنه واحد من العناصر المهمة التي أبقت التركيبة، ولا أريد أن أقول النظام، على حالها. فعرفات مصدر للتمويل مثلما هو مصدر للصدقية والمناصب لكثير من الأشخاص الذين يُنظر إليهم كبدلاء أو خلفاء. وإضافة إلى ذلك، ثمة أمر أكثر أهمية جداً، وهو الحفاظ على جهاز الخدمة المدنية الهائل والمتضخّم. فأكثر من 120,000، أو ما يقرب من 130,000 موظف وعائلة يعتمدون على مدخولهم من السلطة. هكذا تعامل مع البطالة، بدلاً من توليد اقتصاد مستقل، إلخ. لذا، من عدة نواح، تعتمد نسبة كبيرة من السكان في معيشتها على الأموال التي تستطيع السلطة، أو عرفات، الحصول عليها لدفع الرواتب وغيرها، فضلاً عن الأموال التي يحتاج إليها من أجل الحفاظ على المسؤولين في مناصبهم ومكاتبهم. وتحاول إسرائيل طبعاً تجفيف مصادر المال بالحصار وبالاستهداف المتعمّد للاقتصاد ولكل شيء. إن الشعب الفلسطيني، الشعب الفقير هو من يدفع الثمن. فأكثر من نصف الفلسطينيين يعيشون دون خط الفقر. ولدينا أيضاً بطالة مرتفعة جداً، إذ هناك أناس يفتقرون إلى مصادر الدخل، أو وسائل العيش. وكان الإسرائيليون يأملون بأن يؤدي ذلك إلى الانهيار الداخلي، لكن الفلسطينيين أثبتوا حتى الآن أنهم يتمتعون بمرونة عالية، وقد تكيّفوا تجاه الأمر. أمّا ما يأتي من بعض الدول العربية، ومن الدول الأوروبية، فإنه لا يكاد يكفي للمحافظة على إمكان الاستمرار في حدّه الأدنى، والاستمرار على حافة الانهيار من دون حدوث الانهيار فعلاً. وهذه هي المأساة. يُخيّل لي أنه لو كان هناك اهتمام حقيقي بالاقتصاد الفلسطيني ومؤسساته لوجب تقديم مساعدات مالية كبيرة للسماح للفلسطينيين ببناء واقعهم الداخلي والقدرة على الوقوف في وجه الهجمات الإسرائيلية ومواجهتها.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf